التاريخ: 11/11/2015

العنوان: كرم أهل البيت(ع) وأدب خدّامهم

كرم أهل البيت(ع) وأدب خدّامهم

يكثر الكلام عن التقاضي المالي من قِبل خدمة الإمام الحسين عليه السلام سيما الرواديد والشعراء منهم، ذلك أن العرف درج على بذل المال لخطباء المنبر.

وإذا كان بذل المال للرواديد والشعراء في العراق والكويت وإيران على سبيل المثال متعارفاً فهو في البحرين أمر مُحْدَث وقريب العهد ولم يزل في دائرة ضيقة محدودة، الأمر الذي يجعله سابقة تدور بين الرفض والقبول المجتمعي.

فشعب البحرين يتميز بولاء خاص ومحبة فريدة وعشق فائق لأهل البيت عليهم السلام وإذا كانت القاعدة بين العبد المملوك والمولى هي عطاء العبد وخدمته لمولاه على أن يقوم المولى بإطعام العبد وكسوته وتأمين مكان عيشه، فإن القاعدة بين العاشق والمعشوق هي العطاء حدَّ الفداء دون انتظار مقابل أو تعويض.

لذلك فقد يبدو تقاضي الرادود أو الشاعر للمال قبال الخدمة معيباً في نظر الكثير من شعبنا الحبيب في البحرين الغالية. وحتى نتعرف على الرأي الصحيح من هذه المسألة بشكل عام فليس ثمة أفضل من التعرف على مواقف أهل البيت عليه السلام وطبيعة تعاطيهم مع خَدَمتهم من شعراء المدح والرثاء، وكذلك التعرف على طبيعة تعاطي أولئك الشعراء مع مواقف أهل البيت منهم.

و لابد قبل ذلك من التنبيه على أن محل الكلام ليس هو الجانب الفقهي والحكم الشرعي من تقاضي وقبول المال في خدمة المولى أبي عبد الله عليه السلام حيث لا إشكال ولا شبهة في جواز ذلك عند سائر فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

يقول المحدث النوري قدس سره في كتابه اللؤلؤ والمرجان في آداب أهل المنبر:"الذين ينتفعون من وجود قارئ العزاء في تحصيل الأجر والثواب كصاحب المجلس والحاضرين المستمعين فتكليفهم إعانته ورعايته وتوقيره وإكرامه والإحسان إليه بالمال واللسان وسائر الجوارح وبكل ما يستطيعون. وعليهم أن يعلموا أنهم مهما قدموا له من خير فإنهم لن يوفوه حقه حتى لو أعطوه كل مال الدنيا ومتاعها وذلك لأنه استطاع أن يحمل الآلاف منهم في قطار واحد وينقلهم مباشرة إلى الجنة!".ص ٧٠.

وإنما الكلام في الجانب الأدبي والمعنوي حول طبيعة تعاطي خدمة أهل البيت عليهم السلام مع الجانب المالي.
وإن المتتبع لسيرة أهل البيت عليهم السلام يجد أنهم أوْلوا شعراءهم اهتماماً ورعاية وأفاضوا عليهم من الكرم المنقطع النظير، وخصوصاً شعراء الرثاء لأبي عبدالله الحسين عليه السلام.

فقد روي أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وقد كان في مجلس للمنصور عقده يوم النيروز وقد دخلت الملوك والأمراء والأجناد يهنئون الإمام عليه السلام ويضعون الهدايا والتحف بين يديه وكان آخر الداخلين رجل شيخ كبير السن وقال: يابن رسول الله إنني لرجل صعلوك لا مال لي أتحفُك، ولكن أتحفك بثلاثة أبيات قالها جدي في جدك الحسين بن علي عليهما السلام:

"عجبتُ لمصقولٍ علاك فرندُهُ يوم الهياج وقد علاك غبارُ

ولأسهمٍ نفذتك دون حرائرٍ يدعون جدَّكَ والدموعُ غِزارُ

هلّا تضعضعت السهامُ وعاقها عن صدركَ الإجلالُ والإكبارُ"

قال عليه السلام: "قبلت هديتك، اجلس بارك الله فيك". تقول الرواية أن الإمام عليه السلام أمر بجمع كل الهدايا وإعطائها الشيخ قائلاً:"إقبض جميع هذا المال فهو هبة مني لك". المناقب ج٣ ص٣١٨.

وإن أمثال هذه المواقف كثيرة جداً في سيرة أهل البيت عليهم السلام فهم أهل الكرم وجوهر الجود وعين البذل، إلا أن بين خَدَمة أهل البيت مراتب معنوية متفاوتة في درجات العشق ومستوى الإخلاص، مع حفظ مقام جميع خدمة أهل البيت عليهم السلام فمن يقبل المال في خدمتهم، دون أن تكون خدمته من أجل المال وطمعاً في الدنيا، فهو على سنة أهل البيت ولم يخالفها في شيء وله، مع أجر الدنيا الطاهر المبارك، ثواب الآخرة بإذنه تعالى.
ومن تلك الدرجات المعنوية المميزة والأحوال المشرقة ما تحكيه هذه المواقف العطرة في سيرة خدمة أهل البيت عليهم السلام:

روى المفيد في الإختصاص أن الكميت دخل على الإمام الباقر عليه السلام فقال له: جعلت فداك أرأيت أن تأذن في أن أنشدك قصيدة؟ فقال: "أنشد". فأنشده قصيدة فقال: يا غلام، اخرج من ذلك البيت بدرّة فادفعها إلى الكميت. فقال له: جعلت فداك أرأيت أن أنشدك أخرى؟ فقال: "أنشد". فأنشده أخرى،...حتى أنشده ثلاث قصائد وفي كل مرة يدفع له الإمام بدرة، فقال الكميت: والله ما امتدحتكم لغرض دنيا أطلبه منكم وما أردت بذلك إلا صلة رسول الله(ص) وما أوجبه الله لكم عليَّ من الحق، قال الراوي: فدعا له أبو جعفر عليه السلام ثم قال: "يا غلام ردَّها إلى مكانها" يعني الدرر. الإختصاص ص٢٧٢.

وروى القطب الراوندي في الخرايج أنه لما أنشد الفرزدق قصيدته الشهيرة في الإمام زين العابدين عليه السلام بعث إليه الإمام بدنانير فردّها وقال: ما قلت ذلك إلا ديانةً، فبعثها عليه السلام إليه أيضاً وقال: قد شكر الله لك ذلك.
وكان قد حُبس الفرزدق فلما طال الحبس عليه وقد تُوعِّد بالقتل شكى إلى الإمام عليه السلام فدعا له فخلصه الله فجاء الفرزدق إليه وقال: يابن رسول الله إنه،أي هشام، محا إسمي من الديوان. فقال له: كم كان عطاؤك؟ قال: كذا. فأعطاه لأربعين سنة وقال عليه السلام: "لو علمتُ أنك تحتاج إلى أكثر من هذه لأعطيتك". فمات الفرزدق لما انتهت الأربعون سنة. الخرايج والجرايح ص٢٤٠.

وإن المتأمل في هذه المواقف من سيرة أهل البيت عليهم السلام وخدمتهم رضوان الله عليهم يخلص إلى نتائج واضحة:

1. إن بذل المال لخدمة الحسين عليه السلام أمر محبب في الشريعة وله عظيم الأجر والمثوبة.
2. إن أخذ المال وقبوله لابد أن لا يشكل هدفاً فإن الإتجار بآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم يوجب الموبقات.
3. إن القبول للمال في خدمة الحسين يكون على قدر الحاجة والتوسيع على العيال دون الطمع والجشع والبطر.
4. إن العطاء والخدمة لأهل البيت هي فرض المودة والطاعة والتقرب إلى الله تعالى وما المال إلا من بركات هذه النية الخالصة.

5. إن اشتراط المال في خدمة الحسين عليه السلام أو الإعتراض على مقداره حين لا تكون له حاجة خاصة يتنافى مع خلوص النية وقصد الهدف الأساس وهو فقدان لآداب الخِدمة.
6. إن على أصحاب الخير من أرباب المجالس وعشاق الحسين عليه السلام أن يتفقدوا أحوال خدمة الحسين ويسعوا في قضاء حوائجهم فكم من خادم يمنعه حياؤه من بيان الحال وطلب المال.

اللهم وفقنا لخِدمة أبي عبدالله الحسين خدمة تبيض بها وجوهنا يوم نلقاك.